مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٥/٥/٩

السـادات يهمه أن يسـتمع

وفـورد يجـب أن يتحـدث

كتب احسان عبد القدوس :

الذى يعتمد على تتبع التصريحات الرسمية التى تصـدر عن قادة الدولتين الكبريين يقع فى حيرة ، الا اذا كان على علم واسع بالحقائق بحيث يستطيع أن يفسر هذه التصريحاتتفسيرا يخرج بها من الخلط بين ما تفرضـه المظـاهر والكلمات الدبلوماسية وما هو مرسوم فعلا فى سياسة الدولة .. أى ان التصريحاتالرسمية قد تكون مجرد غطـاء دبلوماسى تختفى وراءه حقيقة الاحداث وحقيقة النيات السياسية ..

ومنذ ايام صرح الدكتور كيسنجر فى حديث له حول لقاء الرئيس السادات بالرئيس فورد بأن « ليس لدى الولايات المتحدة اية خطةجديدة للشرقالاوسط الان ولكنه موقنبأن اى حالة ركود طويلة قد تشعل نار حرب عربية اسرائيلية اخرى » .. ولا شك أن هذا الكلام هو مجرد كلام دبلوماسى ربما اراد به كيسنجر ان يخفي سرا حتى لا يساله أحد عن تفاصيل الخطة الجديدة اذا كانت هناك خطة جديدة ..

وقد كان هذا هو الاسلوب السياسى الذى يتبعه كيسنجر دائما في كل تحركاته .. اى يخفى أن لديه خطة او انه استقر على قرار ، وكان يصف رحلاته الى الشرق الاوسط بانها رحلات « استطلاعية » للوقوف على راى كل من الجانبين ، الى ان ثبت أن رحلته الاخيرة لم تكن مجرد رحلة استطلاعية وانكشف الغطاء الدبلوماسى ليعرف العالم كله انه لم يبدأ هذه الرحلة الا بعد أن كان قد اتفق مع اسرائيل اتفاقا نهائيا يمكن أن تقبله مصر ، ثم بعد أن وصل الى اسرائيل فوجىء بانها قد عدلت عن الاتفاق وغيرت منطقها وموقفها ، وقيل أيامها أن اسرائيل خدعت كيسنجر حتى تضعف من مركزه ومن قيمته وتضطره الى الاستقالة ، وربما لهذا ذرف كيسنجر الدموع وهو يغادر اسرائيل ..

ولا يمكن واقعيا ان تكون رحلة فورد للقاء السادات هى ايضا رحلة استطلاعية ليست قائمة على خطة انتهى البيت الابيض منوضعها واقرارها .. لايمكن أن تكون مجرد تحرك دبلوماسى مظهرى لمقاومة الدعوة الانعزالية التى بدأت تظهر فى داخل الولايات المتحدة وتحاول أن تسيطرعلىالفكر السياسىالامريكى، او لا يمكن أن تكون مجرد تحرك دبلوماسى لاظهار ان امريكا لا تزال موجودة عالميا رغم انسحابها من فيتنام وكمبوديا ..

ان لقاء السادات وفورد ، اذا كنا نريد أن نقدره تقديرا صحيحا ، هو لقاء عمل ..

لقاء عرض خطة واقرار الجانب الاخر لهذه الخطة ..

والواقع أن الدافع الاقوى بالنسبة للسادات فى هـذا اللقاء هو أن يستمع أكثر مما يتحدث ، وما ينتظره الرأى العام العالمى من فورد هو أن يتحدث أكثر مما يستمع .. فموقف مصر ، وسياسة مصر ، ومطالب مصر لم تعد فى حاجة الى مزيد من الحديث ، ولم يطرأ عليها ، ولن يطرأ عليها ، أى تغيير يحتاج الى شرح وتفسير من خلال حديث ، ولكن الذى يحتاج الى موقف جديد ، وسياسة جديدة ، وخطة جديدة ثم الى حـديث طـويل بالنسبة للقضية كلها هى الولايات المتحدة التى يمثلها فورد ..

والمعروف أن كلا من اسرائيل والعرب يعرض القضية على امريكا باسم صيانة المصالح الامريكية .. اسرائيل تحاول أن تقنع الفكر الامريكى بأن مصلحة أمريكا هى فى الابقاء على اسرائيل كقوة مسيطرة على المنطقة كلها ، أو كحاملة طائرات تستطيع ان تدمر أى مركز عربى يتحرك ضد المصالح الامريكية . والعرب يعرضون القضية على الفكر الامريكى على أساس ان مصلحة أمريكا هى فى تحقيق السلام بفرض الواقع العربى على اسرائيل ورد الاراضى المعتدى عليها ، فالعرب قوة لايمكن القضاء عليها كما قضى على الهنود الحمر ، وسيبقون دائما قوة تستطيع أن تؤثر على المصالح الامريكية اقتصاديا واستراتيجيا وسياسيا ، ومن الافضل لامريكا التعامل مع هذه القوة واكتساب صداقتها والحرص على أمنها ..

وطبعا لا اسرائيل ولا العرب هما اللذان يحددان المصالح الامريكية وبفرضائها ، ولكن امريكا نفسها — وسط كل هذه الضجة من حولها — هى التى تحدد مصـالحها وتحـدد بالتالى موقفها ..

اى أن المفروض ألا يقوم حديث فورد الى السادات على مجرد مبادىء العدل ولا على مجرد صيانة الحقوق ، ولكنه حديث يفترض فيه أن يقوم على اساس صيانة وتحقيق المصالح الامريكية ، دون المساس بحقوق ومصالح العالم العربى ..

والرئيس فورد يجتاز داخل بلده موجة من التيـارات العنيفة المتضاربة فى تحديد المصالح الامريكية بعد ما انتهت اليه احداث منطقة الهند الصينية .. اتجاه يرى ان سبب فشل السياسة الامريكية فى فيتنام هو الانسحاب من التدخل المباشر وسحب القوات الامريكية باسم تحقيق السلام ، وان امريكا يجب أن تعود الى التدخل المباشر والى ارسال قواتها الى كل بقاع الارض حتى تسترد سلطانها على العالم كله.. وهو الاتجاه الذى تؤيده اسرائيل وتدعو له فى داخل امريكا، لان اسرائيل تعتبر نفسها قوة امريكية مباشرة داخل الشرق

الاوسط .. والاتجاه الثانى يرى ان فشل السياسة الامريكية فى الهند الصينية ليس سببه الانسحاب العسكرى وتحقيق السلام ، ولكنه فشل بدا بارسال القوات الامريكية الى هناك والتدخل المباشر فى قضايا الشعوب ، بدليل ان هذه القوات الامريكية رغم ضخامتها ورغم ما تحمله الشعب الامريكى ، لم تحقق السيطرة على فيتنام ولا على كمبوديا ولا على كوريا ، وهو ما يفرض تغيير السياسة الامريكية من أساسها بمحاولة تحقيق المصالح عن طريق اكتساب صداقة الشعوب لا اخضاعها ..

وفورد يعتبر من اصحاب الاتجاه الثانى — كما يبدو فى تصريحاته وفى مواقفه — وهو لا شك مقتنع بأن امريكا لا تستطيع ان تطمئن الى صداقة الشعب العربى الا برفض اطماع السيطرة الاسرائيلية ، وقد صرح جوزيف سيسكو مساعد كيسنجر منذ ايام قائلا : « **ان الولايات المتحدة لا يمكنها بعد الان ان تلعب دور الشرطى فى العالم** » ، واذا صدق كلام سيسكو ، واذا افترضنا انه كلام يرسم خطوط التقييم الجديد للسياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، فانه كلام يعنى تعديل موقف امريكا من اسرائيل ، لان اسرائيل كانت تعتبر وكانت توصف حتى فيما يكتبه كتاب أمريكا ، بانها مركز الشرطة الامريكى فى الشرق الاوسط .. واذا عدلت امريكا عن الاعتماد على مراكز الشرطة فليس معنى ذلك انها تتخلى عن اسرائيل ، ولكن هناك فرقا بين اقامة مركز شرطة عالمى والاحتفاظ بصيانة وسلامة دولة منتمية تابعة لامريكا ..

وفورد يواجه ايضا داخل بلده تجمعا ضخما تسميه اسرائيل « الحركة اليهودية الامريكية » ، وهى حركة تسيطر على معظم وسائل النشر واجهزة الاعلام فى امريكا ، كما تسيطر على مجموعة واسعة من اعضاء الكونجرس ، وقد وصل من عنف هجوم الحركة اليهودية الامريكية على فورد ، أن اصدقاء اسرائيل انفسهم بدأوا ينصحون بتخفيف هذه الحملة حتى لا تنقلب الى ضدها وتنتهى بأن تقف الاغلبية الشعبية مع فورد ، كما حدث نفس الشىء بالنسبة لاعضاء الكونجرس .. ومهمة فورد فى مواجهة هذه القوة هى ان يحدد من يحكم امريكا .. رئيس الدولة او الحركة اليهودية الامريكية .. واذا كان رئيس الدولة هو الذى يحكم فانهناك املا فى ان ينتهى لقاؤه بالسادات الى شىء ..

واسرائيل تثير حملة عنيفة فى الداخل والخارج ضد لقاء السادات وفورد ، وضد الاثنين شخصيا ، وقد نشرت الصحف هناك مقالا لاحد كتابها المعروفين قال فيه « ان هناك رجلا باردا يثير الكراهية ضد اسرائيل يجلس الان فى البيت الابيض » ولم يعد هذا الرجل يشبه جيرالد فورد الذى سبق أن وقع عندما كان نائبا عرائض من أجل تقديم اسلحة الى اسرائيل » .. أما كيسنجر فتهاجمه صحف اسرائيل وتصفه بانه « النذل الامريكى الاكبر » وفى كلمات أخرى تقول أنه ليس امريكيا ويجب أن يخرج .. وذلك رغم أنه يهودى ..

والسادات تهاجمه اسرائيل فى الداخل والخارج ، واخف ماتهاجمه به هو ان تصفه بانه اذكى واخبث سياسى عربى ، ووصفه أحد الكتاب بانه « ادهى قادة العرب » .. والسادات فطما من الذكاء الى الحد الذى يثير اسرائيل ، ولكنه ليس اخبث ولا ادهى فى ذكائه .. انه ذكاء يقوم على قدرةالوصول الى مراكز القوة التى تعين مصر على استرداد حقوقها .. وقد وصل الى اكتساب وتاييد مراكز القوة فى العالمالعربى والعالم الخارجى ، مما ترك اسرائيل معزولة عزلا تاما ، وربما وصل لان ذكاءه يعتمد على قياس الواقع من حول القضية الوطنية ، وليس ذكاء يخضع لمؤثرات خاصة ولا لتطلعات شخصية .. وهذا هو ما يخيف اسرائيل من السادات ..

المهم ..

ان كل من يقف فى الشارع السياسى يفترض ويؤكد ان فورد لا يقابل السادات الا وقد انتهى من دراسة كل ما حوله سواء فى داخل امريكا ، او فى داخل الاتحاد السوفيتى ، او فى داخل مصر ، او فى داخل اسرائيل ، او فى داخل اى جزء من العالم له صالح أو له تأثير على القضية .. ولذلك لا يمكن أن يكون لقاؤه بالسادات

للاستطلاع ، لانه لم يعد هناك ما يحتـــــاج لاستطلاع .. انما هو لقـــاء عمـــل .. لقـــاء عرض خطة ..

واذا تفاءلنا من اعادة تقييم الموقف الامريكى .. واذا افترضنا ان اى خطة تعرض على السادات لا يمكن ان تكون خارج الموقف الذى اعلنه ، فان الصعوبة التى نتصورها ليست فى تفاصيل او فى طريقة تنفيذ الخطة ، ولكن فى فرض هذه التفاصيل وهذه الطريقة على اسرائيل ..

وامريكا لا يمكن ان تصـــل الى فرض خطة على اسرائيل الا اذا تحـــركت وهى تعلم ان اسرائيل لا تساوى شـــيئا بغير امريكا .. والا اذا كان الذى يحكم امريكا هو رئيس الولايات المتحدة وليست طائفة اليهود الامريكان .

■ ■ ■

وبعد هذا فانى افضـــل ـــ ولو أنى لا اجزم ـــ أن تكون تصريحات كيسنجر بأنه يذهب الى لقاء سالزبورج وليس لديه خطة جديدة ، وتصريح الرئيس فورد بأنه يذهب ليستطلع ما يمكن أن يقدمه كل من الطرفين من اجل السلام .. افضل ان اعتبر كل هذه التصريحات مجرد غطاء دبلوماسى لخطة عمل وصلت اليها فعلا السياسة الامريكية والموقف الامريكى من القضية .. ■